أعمال خيري عبد الجواد الروائية في ندوة مغربية:

استثمار الموروث الشعبي والحكائي في تأسيس رؤية روائية حديثة

وليد السليماني*

■ في جلستين حافلتين بالتحليل والنقاش، كان موعد نادي القلم المغربي، يوم الثلاثاء خامس كانون الاول (دسمبر) 2006 بالمركب الثقافي ـ الحي بالدار البيضاء مع ندوة (المتخيل السردي عند خيري عبد الجواد) في محور الراهن بعيون متعددة، حيث افتتح اللقاء الدكتور فارس الحمري بتقديم ورقة تمهيدية عن التحولات في التعبير الروائي وما يختزنه، باستمرار، من مفاجآت وقدرات على تجديد الحياة وإكساب الروح البشرية مناعة دائمة وفرصة لإرواء الواقع بالتخييل.كما تحدث عن راهن الرواية المصرية وتنوع التجارب التي حققت مجريات نهرية عميقة، خصوصا مع بهاء طاهر وخيري شلبي وجمال الغيطاني وادوار الخراط ويوسف أبو رية وإبراهيم عبد المجيد ومحمد البساطي وغيرهم من الدفق الإبداعي... ليأتي جيل الوصل والتجديد الذي يضم أسماء أثبتت جدارة صوتها الروائي والقصصي، ويعتبر خيري عبد الجواد أحد هذه الأصوات الروائية التي لفتت إليها الانتباه عربيا وغربيا من خلال روايته (حكاية العاشق والمعشوق) ومن خلال بحثه النظري والإبداعي في الموروث الثقافي الشعبي وأشكال استثماره.

وذكر د/ فارس بأن هذه الندوة هي تكريم للإبداع الروائي المصري المجدد عموما، ثم أعطى الكلمة في الجلسة الأولى للمتدخلين محمد معتصم، شعيب حليفي وسعيد غصان

كيد الواقع:

الناقد محمد معتصم قدم ورقة هي عبارة هي دراسة موسعة عن الرواية الإحيائية ممهدا بالحديث عن اتجاهات الرواية العربية مقترحا تقسيما ثلاثيا: الكتابة الواقعية وكتابة اللاواقع ثم الكتابة الإحيائية.

وعبر هذا المدخل النظري تحدث الباحث محمد معتصم عن الإحيائية عند خيري عبد الجواد والتي تحضر من أجل النهوض ومن أجل الاعتبار.. كما تناول نظرية التهجين بمظاهرها الخمسة لفهم الكتابة عند عبد الجواد وكيفيات استثمارها للمخزون الثقافي.بعد ذلك تناول الرؤية المخترقة التي تقع في أعمال خيري ضمن خانة الموروث المخترق برؤية إبداعية، له صولته وسطوته كخطاب أدبي يوظف ليمنح حضورا آخر مختلفا... إنه استدعاء للعوالم السحرية العجيبة حيث تكتسب الحكاية بعدها الخرافي الآسر. لكنها تفقد كل تأثير إيديولوجي (أخلاقي وتعليمي) لأن المعطى الخارجي أو شروط وجود تلك الأنواع الأدبية قد زالت مع الزمان، واستدعاؤها في غياب الحمولة الإيديولوجية يصبح مجرد توظيف جمالي يراد منه خلق المتعة الأدبية ويضاف إليها طبعا موقف الحاضر.

ويصل الاستدعاء مداه في الكتابة التهجينية التي لا تستثمر التاريخ ولا القصص القرآني، ولا تستثمر السير الشعبية فقط، بل تستثمر في بناء فضائها المتخيل على نصوص حديثة جزئيا أو كليا، واستثمار الخطاب النقدي التنظيري للرواية مع توظيف الشعر أو خاصيات الكتابة التقريرية والرسائل الإخوانية والغرامية، ، ، إلخ.وهذا النمط من الكتابة التهجينية هو السائد الآن وظهرت له فروع متنوعة كالرواية الثقافية مثلا.

وفي تحليله لرواية مسالك الأحبة، يدرس الباحث مكون اختراق المحاكاة حيث تنتمي الكتابة في هذه الرواية إلى كتابة الإحياء، ذلك أنها تتخذ من الموروث الشعبي والفصيح مادة حكائية تعيد تشكيلها وصياغتها بطرائق مختلفة حتى تكسبها وجودا جديدا في الزمان والأفهام. وليس ضروريا البحث عن المرجع المستوحى والمسترجع. لأنه فقط توهيم ولأن الرواية بعث من /للسديم وتشكيل خيالي قد يقف عند محاكاة الأساليب كاعتماد العناوين المسجوعة أو اعتماد تقنيات الكتابة وطرائق توليد الأحداث وبعث الشخصيات الروائية.

إذا على القارئ إلغاء كل محاولة للمقارنة أو العودة إلى المصادر أو المراجع المشار إليها ضمن النص المبتكر، واعتماد النص كلغة وكمتخيل مبتدع يستدعي الخارجي الثقافي للإيهام والتمويه (توسيع معنى الرمز) لأن في ذلك بعثا للتشويق وإثارة لغايات ومقاصد الحكي. ولأنه أساسا يقيم ميثاقا وثيقا بين القارئ والكاتب.

من أهم شروط هذا الميثاق السردي التخييلي التصديق وإبعاد إمكانية طرح السؤال حول/عن حقيقة الوقائع والشخصيات لأن في طرح السؤال تمزيق لعرف التواصل.

وفي محور أخير قارب محمد معتصم تقنيات الكتابة في خمس نقط هي التحويل باعتباره سيرورة دينامية ويتمظهر في المسخ والظهور والاختفاء وتقلب الأحوال.

ثم التقابلات. والنقطة الثالثة التوسيع في الحكاية ومستوياتها (الحكي الذاتي والحكي الخارجي). أما الرابعة فتتعلق بتبطيء الحكي (الوصف المسرود، تقطيع وتفريغ النص، اللغة الواصفة، الحذف). ثم تقنية تسريع ألحكي.

وخلص الباحث في النهاية أن (مسالك الأحبة) رواية اختارت تيار الإحياء، واختارت الاشتغال على الموروث وإعادة تشكيله من جديد مؤكدة على أن الإبداع صنعة، وعلى أن المبدع يكون قادرا على بعث الجمال من خلال المهمل والمنسي لأن الجمال وجهة نظر. وأن المبدع الخلاق يمكنه تبليغ رسالته الاجتماعية من خلال تقويض البناءات السالفة وإعادة بنائها بما يوافق العصر. ففي مسالك الأحبة نعثر على العديد من النصوص القديمة الحاضرة بأشكال مختلفة، أي أنها حاضرة بالفعل أو أنها محاكاة ساخرة، محاكاة تقليد فقط. لكن الأساس هو أن روح الكتب القديمة التي تنبني على الارتقاء والبحث عن الجوهر. والكتب التي كانت تشكل متخيلها من عوالم الجنة والجنة قد مثلتها الرواية المعاصرة. وفي مشهد الحوريات تمثيل لما نجده من ترغيب في كتب التفسير، التي تناولت (الإسراء والمعراج)، وهي طريقة استخدمها أبو العلاء المعري في (رسالة الغفران)، ودانتي في (الكوميديا الالهية) ووظفها الكاتب الفرنسي فينيلون في (مغامرات تليماك).

كيد النساء

شعيب حليفي قدم قراءة أولية في رواية (كيد النساء) آخر إصدارات خيري، والتي هي استمرارية في البحث عن الرواية من خلال بنائه لنص مشدود إلى حبلي الواقع والسحر والتداخلات «الضرورية» بينهما، مثلما تحقق ذلك بين بديعة ونور الدين وبين ما ينمو في أحشاء حب فادح بين، ابنتهما، فتحية ورمضان.

تقدم (كيد النساء) مساحات واسعة من الحكي الفاعل والمنفعل مع الحياة من أجل تفكيك عوالم سفلية للمتخيل الشعبي بقضاياه اليومية التي تحيا إلى جانب أساطيره وخرافاته، وهو ما تمثل في زواج السحر بالبلطجة (بديعة ونور الدين).. ومكنت الرواة من اختطاط بحوث وتقديم رواية إبداعية لواقع آخر يتحرك باستمرار.

كما تطرق شعيب إلى خاصية خيري عبد الجواد في استعماله للسرد الحكائي الذي يستثمر أساليب تراثية بلغة حداثية تنم عن صنعة روائي متمكن من أدواته لإشعال فتيل المتخيل ولرؤية الراهن بعيون وأساليب متعددة. وختم الباحث بحثه بالتأويل الذي تقدمه مقاربة رواية (كيد النساء) وخلص أن الرواية هي صرخة احتجاج مشبعة بالحس الجمعي الانتقادي الذي يتخفى في رموز متعددة.

سعيد غصان تحدث عما حققته أعمال خيري من تطور وتطوير للكتابة الروائية ومن خلال أسلوبه الذي وظفه في رواية الجني وهو يتمحور حول شخصية الطفل الجني الذي يقدم عالمه المتخيل للتعرف على صورته الإنسانية ورصد ملامحها.

ويبدو ذلك واضحا كما يقول غصان ـ منذ الصفحات الأولى التي تشير إلى خصوصية هذا الطفل غير العادي انطلاقا من مناورات أبيه أو مع والديه معا أثناء النوم.ثم شرع في تحليل الفقرات التسع من خلال عنصري التوتر والألم عبر الوسائط التقنية التي ساعدته على بناء نصه من الوصف والحوار والتأمل والحلم.. ثم تحول الباحث إلى تشريح سيرورة الأفعال الروائية والأحلام وتغذية المتخيل مما ينوع للخطاب قنواته.. مثل استثمار الخطاب الساخر والعجائبي لاستكمال نسج العوالم الحكائية.

تشييد الحكاية

الجلسة الثانية افتتحها النقد نور الدين صدوق بورقة حول (مفارقات الكتابة والتجربة) مؤكدا أن أية مقاربة ممكنة لتجربة الروائي خيري عبد الجواد لا يمكن أن تتحقق ألا بالنظر إلى المنطلق التأسيسي لهذه التجربة، والمتمثل أصلا

وأساسا في روايته النواة (حكاية العاشق والمعشوق)، حيث تم تحديد الأطر التي تنتظم من ناحية القول الروائي، ومن أخرى التوجه الذي يمكن التأسيس له بحثا عن تميز وفرادة.

ويضيف صدوق بأن الرواية تتأطر ضمن التجارب التي انفتحت على الصوغ الروائي التراثي القديم..لهذا فهي تفيد من محكي التراث متمثلا في ا لحكاية، بهدف التأسيس لتشكل كتابة مغايرة يراهن فيها على ربط الرواية بمرجعيتها، إلى محاولة تبيئة الشكل المغاير، إذا ما ألمحنا للسياق الذي جاءت فيه، والمتمثل في النزوع إلى الانفتاح على التراثي والاحتفاء به..

لقد تمثل هذا النزوع بما جاء به: محمود المسعدي، جمال الغيطاني، اميل حبيبي، يحيى الطاهر عبد الله... فالحكاية وفق هذا التصور، الوعاء الاطار الذي يتشكل من خلاله البناء الروائي.. وانطلاقامنه تتعدد، تتناسل الحكايات بحثا عن ترتيب موضوعي للقول الروائي، حيث تشتغل مادة الحب أو العشق وفق تباين مظاهرها ومفاهيمها ضمن حكاية العاشق و المعشوق

ويمكن القول أن هذه التجربة توسعت في اللاحق مع (كيد النساء) ولكن في دائرة التنويع عليها، وليس إعادة إنتاجها.

إن خيري عبد الجواد من خلال تجربته:

1ـ يراهن على تأسيس قول روائي مفارق.

2ـ يتشكل انطلاقا من التراثي مجسدا في الحكاية.

3ـ ويهدف تعضيد سياق إبداعي مفتوح على التداول التراثي القديم.

مداخلة الشريشي لمعاشي جاءت في موضوع (المعمار الروائي وتشييدات الحكي) حيث قسم بحثه إلى ثلاثة محاور كبرى مهد لها بتقديم نظري في مفهوم المعمار والتشييد والحكي ثم انطلق محللا عتبات رواية (يومية هروب) في ارتباطها بما سيأتي من تشييد للحكي وتيماته كما تحدث عن كون عتبات سرود خيري عبد الجواد تمتاز بإيحائية عتباتها وقوتها الرمزية.

المحور الثاني حول تشييد الحكي حيث استدعت الرواية بعض آليات توسيع متخيل محكيها فكان تضمين خمس حكايات يتناوب على سردها خمس نساء، إذ يتشذر السرد ويتفرع وتتعدد المحكيات، غير أن المصائر تتوحد والرغائب تهفو بعبثها. إن تشييد الحكاية ـ يقول الباحث ـ جاء وفق عملية الهروب باعتباره سمة لازمة للشخصية، وهو رمز للبحث عن الممكن في أزمان المستحيل وهو أيضا علامة للبحث عن الضوء عبر خرق المواثيق والتسييجات الموبوءة.

إن التشييد الحكائي في (يومية هروب) يكشف عن حنكة سارد درب، متمرس على بناء الحكاية وتفتيته في آن.

المحور الثالث في مداخلة الشريشي لمعاشي (رئيس نادي القلم المغربي) كان حول تشكل التيمات وتدرجها وصولا إلى تيمة الجنس التي هي نسخ الحكايات الخمس المروية، وهي مرآة لدلالات أعمق تكشف عن عاهات المجتمع الساكن.

وخلص الباحث إلى وضعه يده على الأطروحة الكبرى والمتمثلة في الضياع وتزوير التاريخ.

شهادة

وعاد في المداخلة ما قبل الأخيرة شمس الدين بلقايد لقراءة رواية(مسالك الأحبة)من خلال المفاهيم المحركة للسرد والتي اشتغلت عليها: الرحلة، الحلم، المسالك، التيه، مصير الخائبين والواهمين والسالكين.

أما المداخلة الأخيرة لعبد الحق نجاح فجاءت قراءة امتاعية للمجموعة القصصية (قرن غزال) باحثا في القصص الخمس عن تحولات الشخصية والعنصر القصصي بالإضافة إلى الحدثية والتشكل الحكائي.

شهادة الكاتب: هذا زمن القابض فيه على حكاياته كالقابض على الجمر:قرئت في نهاية هذا اللقاء الشهادة التي بعث خيري عبد الجواد وقد جاء فيها:

الأخوة والأصدقاء والأساتذة الأعزاء، تحية عطرة أرسلها إليكم من القاهرة التي تتشوف دائما لرؤياكم، فأنتم منها في القلب، تأكدوا من هذا، ولعل بعضكم قد لمس ذلك عند زيارته للقاهرة وعرف مدى الحب الذي نكنه نحن أدباء مصر وكتابها للمغرب والمغاربة أخوتنا وزملاء المهنة الواحدة، فلا فضل لمغاربي على مصري إلا بالفن والإبداع الجيد وهانحن نلتقي ونتجمع عن طريق الفن، فوحده يجمع ما فرقته السياسة والحدود والملل والنحل المختلفة.

لقد شعرت بسعادة طاغية حين علمت باجتماعكم على دراسة بعض ما اجتهدت في كتابته على مدى ربع قرن من روايات وقصص، واني على أمل ألا يخيب ظنكم فيما كتبت، وأن تجدوا فيه ما يستحق عناء بحثكم، وألا تكونوا قد أضعتم وقتكم فيما لا يستحق.

الأخوة الكرام، لقد بدأت الكتابة في فترة مبكرة جدا من حياتي، كان ذلك في بداية السبعينيات من القرن الماضي، وكان عندي وقتها عشر سنوات، فقد ولدت في (1960/7/24) وكانت أول قصة كتبتها آنذاك هي قصة بوليسية تشبه تماما القصص البوليسية والألغاز التي أدمنت قراءتها في تلك الفترة ـ ومازلت حتى الآن ـ لكن البداية الحقيقية جاءت مع نشر أول قصة قصيرة لي في مجلة الجديد والتي كان يشرف عليها الناقد والمسرحي د. رشاد رشدي، كان ذلك في تشرين الاول/ أكتوبر 1980 ومنذ ذلك التاريخ وحتى ظهور أول مجموعة قصصية لي وهي «حكايات الديب رماح» عام 1987، كنت قد نشرت أكثر من ثلاثين قصة في الصحف والمجلات المصرية والعربية، والغريب أنني لم أختر من بين هذه القصص التي نشرتها ما يكون مجموعتي الأولى، بل أنني كتبتها كلها خصيصا كي تكون كتابي الأول.

ولدت في أحد الأحياء الشعبية الموجودة في قلب العاصمة القاهرة، وهو حي «بولاق الدكرور»، وقد يحدثكم الدكتور شعيب حليفي عن بعض انطباعاته عن هذا الحي فقد شاهده معي،

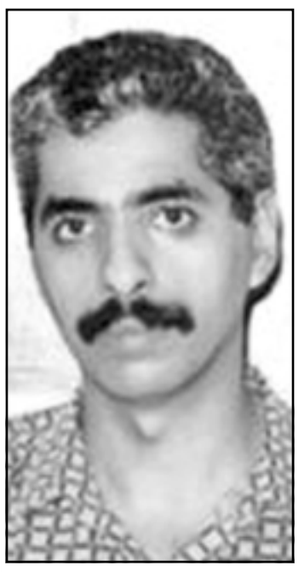

خيري عبد الجواد (القدس العربي)

وقد أطلق عليه البعض اسم « الصين الشعبية» نظرا لازدحامه الشديد، في هذا الحي عشت كل عمري وتشبعت بهذا الخليط من البشر بما يحمله من ثقافات شعبية مختلفة بعضها ينتمي للجنوب، والآخر ينتمي للشمال ودلتا النيل، وبينهما ثقافة العاصمة، لقد رضعت من تلك الثقافة ـ العشوائية ـ وعبرت عنها في كل كتاباتي، كانت « حكايات الديب رماح » هي حجر الزاوية في كل ما سوف أكتبه بعد ذلك، ولقد تساءل الروائي والناقد الكبير « ادوار الخراط » في دراسته التي قدم بها كتابي الأول : هل هذه الكتابة حكايات شعبية أم قصص حداثية؟ وخلص في نهاية الدراسة إلى أنها قصصا حداثية تمتح من بئر الخرافة الشعبية. لن أقول بالطبع، أو أدعى، أنني كنت على وعى كامل بما أكتبه في تلك الفترة، بل على العكس من ذلك، لم أكن منتبها لذلك الكنز الذي بين يدي والذي نبهتني إليه كتابات ادوار الخراط والكثير من النقاد الذين تناولوا أعمالي فيما بعد، لقد كتبت هذه المجموعة بالفطرة وحدها وبوعي ضئيل بأنني أريد أن أكتب هذه الكتابة بالذات والتي تحمل ثقافتي الوحيدة التي أعرفها آنذاك، فأنا ابن لهذه الطبقة الشعبية ولست ذلك المثقف الذي يكتب عنها، بل منها وفيها، بهذا التصور كتبت مجموعتي الثانية « حرب أطاليا» على إن الوعي كان قد تطور قليلا وبدأ ينظر إلى أبعد من ذلك، كانت ألف ليلة وليلة، والسير الشعبية، وحكايات الجان، وكتب السحر، وأهازيج الأطفال، وكتب الأخبار والرحالة العرب، والأساطير، سواء كانت شفهية أم كتابية، وتراث المحكي العربي على اتساعه وامتداده، هي مجال تجوالي فيما بعد بحثا عن أشكال عربية للقصة والرواية، وبالفعل فقد وجدت بعض الأشكال والتقنيات التراثية القديمة والتي تصلح لإثارة الدهشة الآن، فمثلا بهرني استخدام «الحارث المحاسبي» وهو متصوف من القرن الثالث الهجري لشكل التوهم للجنة والنار وللحياة الأخروية، وقد قررت استخدام هذا الشكل، أي شكل التوهم، في روايتي الأولى « كتاب التوهمات» التي صدرت عام 1992، وفيها طوعت هذا الشكل التراثي القديم لشروط الحداثة كما أفهمها، ثم بعد ذلك جاءت رواية «العاشق والمعشوق» والتي أحدثت بعض التفاعل الايجابي في الأوساط الأدبية المصرية والعربية على السواء، وقد لفتت الانتباه ـ وبشدة ـ لكتاباتي.

الأساتذة الأجلاء، لا أريد الإطالة عليكم، لكني فقط أردت استجلاء بعض الخطوط العريضة والتي تحركت من خلالها عبرعملي خلال ربع قرن في محاولة لكتابة جادة لا تقلد كتابة أخرى، لكنها كتابة مسكونة بما ومن سبقها، ومرة أخرى فان اجتماعكم اليوم من أجل النظر فيما كتبت هو فى حد ذاته شرف لي وتاج أضعه فوق رأسي

أشكركم مرة أخرى على ما قدمتموه من أجلي، والى أن نلتقى، لكم محبتي.

* كاتب من المغرب

جحيم عبد العزيز الحكيم

سعدي يوسف

■ في الصورة يبدو عبد العزيز الحكيم ، إلى جانب جورج دبليو بوش (وليّ المسلمين الذمّيّ) ، في البيت الأبيض . بوش يواصل التلويح بيديه ، والكلامَ التافه غير المتّصل ، بينما يحاول الحكيمُ الابتسامَ ، فلا يخرج إلاّ بتكشيرة صفراءَ مليئة قيحاً .صحيحٌ أنه كان أقلّ ارتباكاً من نوري المملوكي حين استُدعيَ للقاء سيّده الذمّيّ في عمّان ، إلاّ أن التعيسَيْن متساويان في منزلة العبد التي نزلاها مختارَيْن .أليس الوقتُ ، أعني وَقت الزيارة ، مَدعاةً لتساؤل ؟ تساؤل عن الجدوى ؟ بوش راحلٌ فعلاً ، وأركان بيته الأبيض تنهار ، ركناً بعد آخر . وتفاصيل انسحاب القوات الأميركية من العراق وضعتْ فعلاً موضع التطبيق . لمَ ، إذاً ، يتوسّل الحكيمُ لبقاء جيوش الاحتلال ؟ غباءٌ للعبد يقلّدُ غباءَ السيّد ؟ ربما ...

رجُلٌ يلبس جبّة الدين ، يطلب من بوش الإبقاءَ على عسكره ! بوش الذي يمثل ، وينفّذ ، أسوأ ما خطّط له المحافظون الجددُ وحلموا به ،وبالذات ما يتّصل بالاسلام .المحافظون الجددُ يدعون إلى تغيير جذريّ ، بالقوّة ، للمجتمع المسلم . وبالضد من قادة أميركيين محافظين مثل إدموند بَرْك المتحفّظ على إعادة خلْق العالم أميركياً ، يرى جوشوا مورافتشيك ، أحدُ قادة المحافظين الجدد الكبار ، أن «مهمّة أميركا هي إعادة صُنْع المجتمع الإسلامي» .

America's job is to remake Islamic society.

وليست بعيدةً ، تلك الأصداءُ ، آنَ صرّحَ جورج دبليو بوش بأنه يخوض حرباً صليبيةً!

هل صارِ الحكيمُ ، فجأةً ، صليبياً في كنيسة ولَيِّه؟

أمْ أن ضَرباً من جنون مَسَّه ، شأنَ سيّده؟

في هذا الوقت بالذات ، تتصاعد في الولايات المتحدة ، ذاتها ، الأصواتُ المطالبة بمحاكمة الرئيس بوش أمام محكمة جرائم الحرب في لاهاي ، وبإدخاله مستشفى للأمراض العقلية . يتساءل الكاتب الأميركي بول كريج روبر تس في عنوان مقاله أمس : هل الرئيس بوش سليمٌ عقلياً ؟

عشرات الملايين من الأميركيين يدعون إلى تقديم بوش للمحاكمة على الكذب والتضليل اللذين اتّبعهما لشنّ حرب غير مشروعة ، وللحنث بقَسَمه التمسكَ بالدستور الأميركي . الرئيسُ الأميركي متورط في إنكار الحقائق إلى حدٍّ فقدَ فيه العلاقةَ بالواقع . ولم يعُدْ بالإمكان وضعُه بين الأصحّاء عقلياً . من هنا جاءت الدعوة إلى وضعه في مصحٍّ للأمراض العقلية . في الثامن والعشرين من تشرين ثان (نوفمبر) أعلن بوش أن القوات الأميركية لن تنسحب من العراق حتى تكمل مهمتَها في بناء عراق مستقر ديمقراطي ، قادر على نشر التغيير الديمقراطي في الشرق الأوسط . قال هذا ، حين أعلن كولن باول أن العراق في حرب أهلية ، وحين ذكر تقريرٌ سريّ من المارينز أن القاعدة هي التي تحكم الأنبار ، لا السلطات المحلية ولا القوات العراقية أو الأميركية . وفي عمّان جدّد الحديثَ عن بناء ديمقراطية مستقرة بينما تسرّبت من تقرير مجموعة دراسة العراق الدعوةُ إلى سحب كل القوات الأميركية من العراق .

هذه المجموعة هي برئاسة جيمس بيكر ، منقذ آل بوش ، المرسَل من الأب لإنقاذ الإبن ، لكن يبدو أن الإبن نفسه ، ليس لديه من سلامة العقل ما يجعله يقبل بأن يُنقَذَ .

هل يسعى عبد العزيز الحكيم إلى طرد المالكي ، باعتباره كبشَ فِداء ؟ عنزةَ فِداء بالتعبير الأميركي؟

Scapegoat?

الأمر سهلٌ جداً!

إذ كيف يتوقّعُ امرؤٌ أن ينقذ المالكيّ العراقَ ، بينما لا تستطيع القواتُ الأميركية تأمين الحماية الكافية لأعضاء الحكومة العراقية في مغادرة المنطقة الضيقة الحصينة في بغداد المنطقة الخضراء ؟ أيّ فرصة للمالكيّ الذي فشل في تحقيق الأمن إلى حدٍّ لم يستطع فيه الرئيس بوش زيارة بغداد ؟

وأيّ فرصة لعبد العزيز الحكيم ، حتى لو نجح في إطاحة نوري المملوكي ؟

الطبخة احترقت بما فيها ، ومَن فيها ...

***

مجموعةٌ أميركية ، هي مركز دراسات الحقوق الدستورية أعدّت ملفّ دعوى جرائم حرب ، في ألمانيا ، ضد وزير الدفاع السابق دونالد رمسفيلد .

ويرى عددٌ من المُدّعين العامّين الأميركيين السابقين أن الرئيس بوش ، ونائبه دك شيني ، يستحقّان الأمر نفسه .

×

أمّا عبد العزيز الحكيم ، وأضرابه ، فإلى الجحيم ، كالعادة ، وكما جرى في سايغون ، يوماً ما .

لندن 05,12,2006

---

* بعض الأسماء الواردة في المادّة ، باللغة الإنجليزية :

Paul Craig Roberts. Edmund Burke. Joshua Muravchik .James Baker . Colin Powell

عبد الحميد عقار: على اتحاد الكتاب العرب اعادة النظر في ميثاقه

الرباط ـ «القدس العربي» من محمود معروف

قال عبد الحميد عقار رئيس اتحاد كتاب المغرب ان الخطوة المقبلة في مسيرة اتحاد الكتاب والأدباء العرب بالقاهرة الذي اختتم مؤتمره الـ23 بالقاهرة تتمثل في اعادة النظر في ميثاق هذه الهيئة.

وقال عقار «الخطوة المقبلة في مسيرة الاتحاد ربما تكون هي الانتقال الى اعادة النظر في ميثاق الاتحاد الذي يتضمن مبادئ مرتبطة بفترة الخمسينيات والستينيات، حتى يفسح المجال لمراجعة قوانين الاتحاد». وأضاف الناقد المغربي أن المؤتمر والنقاشات التي سادته كانت متباينة في وجهات النظر والتصورات والمنطلقات والأهداف وكانت تهدف الى البحث عن صيغ جديدة للتوافق والملاءمة تمكنه من ضمان حضور أقوى وأكثر فاعلية على الساحة الثقافية العربية.

وأوضح أن التعديلات التي أدخلت على النظام الأساسي واللائحة الداخلية للاتحاد كانت تبتغي تفعيل دور النائبين الأول والثاني للأمين العام للاتحاد، بما ينتقل بعمل الاتحاد من عمل «ذي طبيعة رئاسية» يلعب فيه الامين العام الدور الاول والأخير، الى عمل يقوم على مشاركة الاعضاء وباقي الأمناء، وتوفير مناخ جماعي وديمقراطي يتيح الفرصة لمساهمة الجميع و«تجاوز لغة ومواقف وأساليب عمل فترة السيتينيات، في ضوء التغيرات العميقة التي مست وضعية الكاتب ونشاط وصناعة الثقافة والابداع الثقافي أكان فكريا أم فنيا».

وقال ان موقف المؤتمر من دمج الأدباء والكتاب العرب المقيمن في المهجر وامكانية الاستفادة من دروهم في تغيير الصورة المترسخة حول العالم العربي في الغرب ان الوفد المغربي كان من بين الوفود التي طرحت هذه القضية مؤكدا أن هذا الموضوع يمثل تحديا كبيرا أمام الاتحاد للنظر في الاسلوب الذي يتيح لهؤلاء المبدعين والمفكرين أن يؤمنوا بجدوى هذه الاتحاد واشراكهم في أنشطته، وتمكينهم من الوصول الى الوطن العربي بمشرقه ومغربه، والاهتمام بفكرهم .

وأكد رئيس اتحاد كتاب المغرب على ضرورة المزيد من التواصل الثقافي بين مغرب ومشرق الوطن العربي باعتبار أن هذا التواصل مسألة أساسية لرفع بعض الالتباسات الموجودة بالنسبة للعديد من المفاهيم والمواقف، واعادة تشكيل نظام علائقي جديد يختلف عن «النظام العلائقي الذي هو في طور الاندثار». وقال ان اللحمة بين المشرق والمغرب العربيين «أخذت تتباعد» بعد تراجع الخطاب القومي الذي ساد مهيمنا في الخمسينيات والستينيات والى مطلع السبعينيات، والذي لم تعد له نفس القدرة على لحم الاختلافات بين المشرق والمغرب. وأقر بأن هناك محدودية في التواصل بين طرفي العالم العربي، غير أنه أشار الى أن ارتفاع وتيرة الانشطة واللقاءات الثقافية التي تنظمها المؤسسات الثقافية في كل من المشرق والمغرب بحضور مفكرين وكتاب وأدباء من الطرفين خلال العشر سنوات الأخيرة كان لها انعكاس ايجابي على هذا التواصل. وعقد المؤتمر الـ23 لاتحاد الكتاب والأدباء العرب بالقاهرة في الفترة ما بين21 و23 الشهر الجاري وانتخب رئيس اتحاد كتاب مصر محمد سلماوي رئيسا لهذه الهيئة الثقافية العربية. وحول الوضع الثقافي بالمغرب قال عبد الحميد عقار انه يعرف تطورا ايجابيا «خلافا للعديد من الأراء المعلنة في المغرب» ونقلت وكالة الانباء المغربية أن هناك تطورا ملحوظا في الانتاج الثقافي المغربي، سواء في ما يخص الكتاب أو الرسم أو الموسيقى أو التشكيل مبرزا أن هذا التطور لا تساهم فيه الدولة وحدها وانما أيضا القطاع الخاص والعديد من المؤسسات الثقافية برغم امكانياتها المحدودة.

قـــص

موت شفاف

علوان حسين*

■ استيقظ باكراً جداً على غير عادته. أخذ حماماً صباحياً منعشاً وهو يدندن بأغنية مرحة. حلق ذقنه وعطره بالكولونيا ثم ارتدى بدلته الجديدة التي اشتراها مؤخراً مع الحذاء الأنيق الذي أضفى عليه لمسة باذخة. بدا في أوج أناقته. أخيراً أخرج قارورة العطر الباريسي التي كان قد خبأها ليوم كهذا. انطلق من مكمنه يمارس هوايته المفضلة، المشي في الهواء الطلق. كان قد اكتسب مظهر الرجل السعيد الذاهب الى نزهته الصباحية بحيوية ونشاط يحسد عليهما. كان سعيداً حقاً لأنه ذاهب لتحقيق آخر مغامراته التي سترفعه الى مصاف المغامرين والحالمين والشهداء.

للمرة الاولى ينتابه احساس بالزهو والامتلاء وبعض الرضا عن نفسه فقد كانت حياته من قبل عادية رتيبة يكاد يتفسخ فيها ببطء. لقد فسد جسده وشاخ قبل أوانه، انه الآن بحاجة لينقذ روحه من العطن. منذ يفاعته أبدى نفوره من واقع رآه فظاً بلا جمال. كره المدرسة لأن معلم الحساب كان يضربه بقسوة مفرطة. ذات يوم عاد منكسراً الى البيت فوجد بدلا من الأب الرحيم طاغية يسخر من غبائه وهو يثني على المعلم الحكيم وقد أكمل موعظته الأبوية بصفعة مدوية، لكنه وبشيطنة طفولية قرر وقتذاك الانتقام لكرامته المهدورة فقذف بنفسه الى النهر، وحين جرفه التيار المتسارع كان جامداً، لكنه حين بدأ يغوص في أعماق النهر ثم يطفو في لعبة سمجة أحس بنشوة ماكرة في أن يغدو جسداً شفافاً طافياً فوق الماء. ود في تلك اللحظة أن يرى أباه ملوثاً بالدموع وعذاب الضمير. لكم ذعر حين أفاق وألفى نفسه مرمياً فوق سرير أبيض ومن حوله الأهل يتوسطهم أبوه بشاربه الكث وسحنته الصارمة يحدق فيه بنظرات ملؤها الاشفاق والشماتة. دفن رأسه في صدر أمه وبكى بحرقة لأنهم سرقوه من عالمه الوردي وكأنهم انتشلوه من أعماق الفردوس. كانت العداوة بينه وبين الآخرين تزداد دونما أسباب واضحة. لم يكن طيباً ولا خبيثاً فقد كان يخفي خلف وداعته وهدوئه الظاهرين مزاجاً نزقاً وروحاً قلقة تتوق الى السقوط الى الأعلى، نحو ذرى شاهقة في عوالم خيالية تصنعها له مخيلة شيطانية مغوية. ودّ أن يكون حكيماً أو نبياً أو كاتباً كبيراً فانكب على قراءة الكتب يلتهمها بشراهة. استهلك ثلاثة أرباع حياته في قراءة صامتة والربع الباقي قضاه في حظيرة أعدت لانسان القرن العشرين في ردة غبية الى عصر السلالات المنقرضة حيث عاش حياة أكثر فظاظة وبدائية وتوحشاً من انسان العصر الحجري. ها قد تفوق برابرة العصر على هولاكو وتيمورلنك في الهمجية والسفالة.

ان الجحيم الموصوف في الأساطير والأديان لم يكن خرافة كما يعتقد البعض لأنه رآه واكتوى بناره. حين قذفوا به الى الشارع لم يصدق عقله ولا يدري ماذا يفعل بحياته، بعقله الذي يوسوس له كل صباح أن الحياة ليست سوى موت طويل، وبدلاً من أن ينال جائزة في الآداب مثلاً تسلم شهادة تقديرية من مصحة الأمراض العقلية تؤكد أن حامل هذه الوثيقة الحساسة شخص في غاية الخطورة والأهمية ويمكن أن يكون فيلسوفاً مجنوناً كخضير ميري أو ارهابياً كبيراً كسلفادور دالي وجان جنيه، وربما يكون أكثر عنفاً من بتهوفن.. حدث نفسه: في لحظة نادرة يحدث أن أموت مشنوقاً في سجن. ربما في طلقة من مسدس كاتم للصوت، تلك الميتة الشائعة في بيروت أعوام الثمانينات. ممكن أن يتحول جسده الى شظايا متناثرة لحظة نسف حانة سمكران. في تلك الليلة احتسى النبيذ مع صديقة لطيفة انتهت نهاية فاجعة احتسى فيها دمه، كل هذا من أجل أتاوة تافهة لم تصل في وقتها المحدد لعصابات ميليشيا في بيروت. تذكر أنه غادر البناية التي يقطنها في الفاكهاني وبعد خمس دقائق فقط وجدها وقد تحولت الى أنقاض وقد نجا طفل كان نائماً في شقة تقع في الطابق السابع.. هل كان هو الطفل؟

تساءل بدهشة كيف لم أمت في احدى المجازر الشارونية وقت حصار بيروت، او عند حاجز كتائبي كما ذبح فنان عراقي مبدع كان صديقاً له هو كاظم الخالدي وشاعر جميل يكتب بغنائية آسرة يلقب (أبو سرحان). الآن في أمريكا أعيش وحيداً في عزلة باردة المرأة التي أحبها لا امل في استعادتها، يبدو ان الحبيبة صورة يرسمها لنا الخيال لامرأة لا وجود لها في الواقع، او أنها موجودة في مكان ما من العالم ولم تسمح الظروف باللقاء. علينا أن نكتب قصائد حب لامرأة لم تولد بعد. كان يظن بأن الحب يشفيه من الكوابيس، وأن المرأة وحدها ترمم له ما تشظى من روحه وتلم الأجزاء المتناثرة منه ببدين حانيتين تشيل عنه قهر السنوات وحرمان عمر طويل من الحنان للمستها الرقيقة الناعمة.

قالوا له تزوج عبر الانترنت، وتساءل هل تزوج شاعر امرأة انترنيتية من قبل ؟ أيكتب مواصفاتها في قصيدة.. يحدد طول قامتها ولون العينين وشكل الشعر، متموجاً أو فوضوياً؟ ماذا عن الجسد أبيض بلون العسل المخلوط بالحليب إلخ؟ أريد امرأة تمتع الفكر والبصر وتترك أثراً منها في كل لقاء.. انثى شاعرة بروحها كشجرة في زهوها وثمارها وصبرها الجميل.. أحبها مرحة حزينة قليلاً، أريدها بقدر معين من الجنون ولا أريدها عاقلة. حرة قادرة على أن تطير تفكر وتعشق دون خوف.. ناضجة كخوخة مشتهاة بقلب طفل وطيبة أم ترضع الحنان.. كان هذا قبل خمس دقائق..

الان لست يائساً كفاية لأن أموت مضرجاً كالأحلام. أنا ملك لي قلب أجلده كل صباح، ومملكة سحرية تقطنها مخلوقات مجبولة من مادة هلامية ليست من جنس البشر ولا الملائكة، هؤلاء هم رفقتي الخالدون. أعيش بينهم كائناً متسامياً لا يحزن ولا يتألم ولا يقنط، فقط أجلس أتأمل الوقت وهو يسيل أمامي كرصاص مصهور.

جائع أنا، شره وأكول. التهمت وبسرية كاملة كل ما يصلح للأكل.

أكلت جدراناً كثيرة ومتنوعة، جدراناً مطلية بكلس الأرواح، سميكة وأخرى رقيقة. كذلك الأبواب وكلها سود ومعها الأقفال والك